

المجلة

بجدة (البيوتية للادب والعلم والفنون)

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

برل الاشتراك من سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نمن العدد ٢٠ ملياً

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٧٢٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٢ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لوازم الحديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الحديث عن آفاك الأرمني الذي قيل إنه طيب روحاني يشق الأمراض المتعمية ويلبس المريض مرة أو مرتين فينهض سليماً معافاً .

وكان المتحدث رجلاً يصدق من الفرائب والفارقات بمقدار ما فيها من مفاجأة الناس ومصادمتهم بالسبب المستغرب من الأمور ... له في الحديث لازمة هي كلمة « لا » النافية . يقولها عشرين أو ثلاثين مرة في الجلسة الواحدة ، ويقولها لمن يواقفه ومن يمارضه ، ولن يقبل كلامه على علاقته ومن يرفضه « على طول الخط » كما يقولون . ويخيل إليك وأنت تستمع إلى حديثه أنه يفضل إنكارك كلامه على موافقتك وتأمينك . لأن الإنكار يفتح له باب الجدل والاستمتاع بتلك الكلمة المحبوبة لديه ، البغيضة إلى الناس أجمعين ، وهي كلمة « لا » النافية ومرادفاتها في اللغة العربية .

قال : إن آفاك شقي مثلولا كسيحاً لا ينهض على قدميه . قالها والتفت إلى متوقفاً أن أنكر منه هذا الخبر ، وأجزم باستحالته أو استيماده .

تفويت ظنه وقت : يحصل . نعم يحصل وقد حصل في الزمن

التقديم وفي هذا الزمن . وقد حصل على أيدي الأطباء الذين لا ينتحلون لأنفسهم قدرة روحانية ولا كرامة من كرامات الأولياء . وحصل في عهد المباسبين قبل هذا العهد الحاضر الذي عرف الناس فيه علم العلاج النفساني وسلوكه في عداد العلوم الطبيعية . وذكرت قصة الجارية التي كان الرشيد يجربها فرفعت يدها ذات يوم فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعمولجت بالترخ والدهن فلم ترجع يدها إلى حركتها . فلما استدعى ابن بختيشوع لمعالجها قال للرشيد : إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة : تخرج الجارية إلى ههنا بمحضرة الجميع حتى تعمل ما أريده فأمر الرشيد بالجارية فأحضرت ، وأسرع إليها الطبيب وأوثق يدها الطليقة وأسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها . فانزعجت الجارية وبسطت يدها المعتقلة إلى أسفل . وكان ذلك شفاءها .

هذا وأشباهه جاز في الطب مشاهد في الواقع ، والممول فيه على استفزاز القوى الحيوانية من طريق المؤثرات النفسانية . فإذا كان آفاك يملك القدرة على استفزاز هذه القوى في نفوس متقديه فلا مانع عقلاً أن يشق بعض الأمراض بهذا النحو من العلاج .

وليس المهم في مقالنا هذا هو حديث آفاك الأرمني وإن كان حديثه ليجرى الآن على كل لسان . وإنما المهم « لا النافية » على لسان صاحبنا الذي آمن بآفاك ليقولها ويسمها من سامعيه .. فقد ظنفت أنني أخذت عليه الطريق وانثرت هذه الكلمة من بين شذقيه . فإذا هي والله أول كلمة علق بها على هذه

برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله في إسناد التهمة إليك وإنما جرت التهمة « البريئة » على لسانه من حيث لا يريد .
وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين أنجبه إليهم الحديث مستثنياً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات ؟ وهل هو رأيك أو رأي الذي تحكيه وترويه ؟
ونحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بأدب الحديث أن أقول : هذا رأيي ! هذا رأيي ! في كل ما أرويه وأحكيه ؟
ومن اللوازم ما يبيح الضحك ولا يبيح الغمز كهذه اللازمة التي يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك المزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين بزدها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما ينيه . وهي لازمة « برافو » التي يتخلص بها من التفكير فيما يقول .
واقى شاباً كان يبرف أباه فسأله : أين أنت الآن ؟ قال : موظف في هذا الديوان ...

قال : برافو برافو . وأين أبوك ؟

قال : تمشي ... مات منذ شهرين .

فلم يلبث أن حيا أباه بحية الاستحسان المبهودة . لأنه مات ! لكن اللازمة البيضاء حقاً تلك اللازمة التي تضطرك إلى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كأنك في محضر تحقيق - أخذت بالاك ؟ « فاهمني ؟ » .

ولا بد من الجواب ، ولا بد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يبنى عنه الإيحاء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدي لك الرأي ثم يسألك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلاً : معاذ الله . بل أنت على صواب .

فلا يكتفي بذلك ويمود سائلاً : إن كنت غلطان قل لي .

هل أنا غلطان بالله ؟

- لانت بنطلان .

القصة ، وإذا به يفتح فاه ليقول : لا . ليس هذا قصدى ...
قلت : لا بل ينبغي أن يكون هذا قصدك . ماذا تمنى أيها الرجل « بلا » هذه التي تفجأ بها الناس موافقين أو مخالفين ؟
قلت إن آفك يشقى الرضى فقلنا لك : يحصل . فأين موضع « لا » هنا لا حرمك الله سماعها من كل لسان ؟

فانقبض واستخزي . وكانت عنده بقية أدب في الخطاب فقال . محتدراً : والله إنها لازمة . ولازمة ذميمة والحق يقال . ولكن ما العمل في المادة وسيئاتها قبحها الله !
وخطرت لي لوازم الكلام عند أكثر المتحدثين ؛ فسألت نفسي : أيها يارى خير وأفضل . « لا » هذه التي تقال في كل جواب ؟ أو « نعم » ومرادفاتهما التي تعود بعض الناس أن يقبوا بها على التقيضين في مجلس واحد ؟
- حبذا لو خلت مصر من الأحزاب .

- صحيح .

- ولكن الأحزاب ضرورية في الأمم الديمقراطية .

- صحيح والله !

- إلا أن الديمقراطية قد تستغنى عنها في بعض أوقات التطور والانتقال .

- معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى أمثال هذا التعقيب في كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءم هذه المواقف وهم ينتظرون الشجاعة الأدبية من ذوى الرأي فلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟

إن كانت هناك « نعم » شر من « لا » فهذه نعم شر من جميع اللامات وجميع أدوات النفي على الإطلاق .

ومن اللوازم ما هو أعجب من الموافقة والإنكار على هذا النوال ؛ لأنها لازمة تائق على السمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هي لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يمدئك عن رجل لا تعرفه ولملك لم تذكره قط في حياتك ، فإذا به يقول : « على رأيك إنه رجل لئيم » ... ومعنى في تحميل رأيك المظلوم تبسات هجائه وإنحائه وأنت لم تر شيئاً مما اتهمك